ORIGINAL ARTICLE

مكانة رسالة "إصلاح الأدوية" لحبيش بن حسن الأعسم الدمشقي في تراث علم الصيدلانيات في العصر الإسلامي

The Place of Hobeish Ibn Hasan Asam Treatise on the Side Effect and Preparation of Drugs in the Pharmacological Tradition of the Islamic Period

رضا محمدی نسب[1]
عبدالرسول عمادی[2]
جواد قاضی شعرباف[3]

۱- أستاذ مساعد فی قسم تاریخ علوم الطب، جامعة علوم الطب بتبریز، إیران
۲- أستاذ مساعد فی قسم تاریخ العلوم، کلیة العلوم الإنسانیة والدراسات الثقافیة بطهران، إیران
۳- أستاذ مساعد فی قسم التاریخ والحضارة الإسلامیة، جامعة شهیدمدنی آذربایجان، تبریز، إیران

الکاتب المسؤول: رضا محمدي نسب، أستاذ مساعد في قسم تاريخ علوم الطب، جامعة علوم الطب بتبريز، إيران
rmn.nasab@gmail.com

Reza Mohammadi Nasab[1], Abdorasol, Emadi[2], Javad Ghazi Sh'arbaf[3]
1- Assistant Professor, History of Science, Department of Medical History, Faculty of Traditional Medicine, Tabriz University of Medical Sciences, Tabriz, Iran
2- Assistant Professor, History of Science, Institute for humanities and cultural studies (IHCS), Tehran, Iran
3-Assistant Professor, Islamic History & Civilization, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran
Correspondence: Reza Mohammadi Nasab; Assistant Professor, History of Science, Department of Medical History, Faculty of Traditional Medicine, Tabriz University of Medical Sciences, Tabriz, Iran;
rmn.nasab@gmail.com

Abstract
The first attempts on the part of physicians and pharmacists to improve medications (to eliminate their side effects) goes back to the ancient Greece and the works of Hippocrates of Kos and Galen of Pergamon, and medication enhancement constituted a pivotal subject in the Islamic pharmacology, where the independent treaties compiled in this regard point to an independent scholarship tradition. Physicians and pharmacists were well aware of the fact that any medication used in the treatment process would involve its own side effects, which were to be accounted for. Of the first treaties authored on the subject is Hubaish ibn al-Hasan al-A'sam's *Improvement of Medicines* written in 3rd century AH. Stressing the high value of the knowledge of medicines and their respective side effects, he therein emphasizes their appropriate production and use as well as removing their side effects. After a short introduction to the laxative medicines, he gives a brief discussion on their nature, effects and proper doze; he goes on to catalog different types of each medication before suggesting solutions for eliminating their side

effects. The treatise became a reliable reference material for later pharmacological and pharmaceutical books, so we find it among the oft-cited sources by Zakariyya al-Razi, al-Biruni, and Ibn al-Baytar.
Keywords: Hubaish ibn al-Hasan al-A'sam, Medication improvement, Pharmacology, Medication side effects

Received: 27 Dec 2016; Accepted: 21 Nov 2018; Online published: 25 Nov 2018
Research on History of Medicine/ 2018 Nov; 7(4): 237-246.

الملخص

يعود تاريخ اهتمام الأطباء والصيادلة بإصلاح الأدوية (إزالة الأعراض الجانبيّة للأدوية) إلى كتب ومؤلفات أبقراط وجالينوس في اليونان القديمة، كذلك يعدُّ موضوع إصلاح الأدوية في العصر الإسلامي من أهم مواضيع الصيدلة، والدليل على ذلك كثرة الكتابة والتأليف في هذا المجال في شتّى العصورالإسلامية وكأن ذلك كان تقليداً متبعاً لدى الأطباء والصيادلة المسلمين. و هذا ما أثار انتباه كلّ من الأطباء والصيادلة و أدّى إلى حدوث تأثيرات وأعراض جانبية. تعتبر رسالة حبيش بن الأعسم الدمشقي في القرن الثالث للهجرة من أوائل ما كتب في هذا المجال، فهو، فضلاً عن أنه يبين أهمية الأدوية في شفاء الأمراض وتأثيرها في حدوث الأعراض الجانبية، يشير في رسالته القيّمة إلى طريقة صناعة الأدوية واستعمالها الصحيح وطريقة إزالة أعراضها الجانبية، كما يبحث المؤلف في ماهية الأدوية وخواصها ومقدار استعمالها، وذلك بعد ذكر مقدمة موجزة في باب الأدوية المسهلة. وقد أصبحت هذه الرسالة في القرون اللاحقة، مصدراً علمياً في علم الصيدلة، حيث أشار إلى هذه الرسالة كلٌّ من زكريا الرازي وأبي ريحان البيروني وابن بيطار وغيرهم من العلماء.

الكلمات الأساسية: حبيش بن الأعسم الدمشقي، إصلاح الأدوية، علم الصيدلانيات، الأعراض الجانبيّة للأدوية

المقدمة

أُطلِقَ اسم إصلاح الأدوية في العصر الإسلامي على معرفة الآثار الضارّة للأدوية وأعراضها الجانبيّة، حيث كان الأطباء قديماً يشرحون الأعراض الجانبية الناتجة عن تناول الأدوية ومضارّها وطريقة إصلاحها، وذلك بعد شرح مميزات الدواء وخواصه الطبية، ومن هنا فإن دراسة الخواص الإيجابية للأدوية وطريقة إزالة أعراضها وتأثيراتها السلبية كانت تعدّ من البحوث المهمة في الطب وصناعة الأدوية في العصر الإسلامي.

كانت معرفة طريقة استخدام الأدوية والعقاقير والتعرّف على أعراضها الجانبية من الأمور التي حظيت بأهمية بالغة عند الأطباء والصيادلة في العصور الماضية، وذلك لأن الطبيب كان يستخدم أدوية أو عقاقير ذات أعراض جانبية لعلاج المرض كما كان الصيدلي يستخدمها أيضاً عند صناعة الأدوية التي ينصح بها الأطباء لمختلف الأمراض، وهذا ما كان يتسبب في وجوب تنبيه المريض إلى بعض الأمور اتقاءاً لحدوث تلك الأعراض والآثار الجانبيّة. كان مصطلح المرض لدى الأطباء القدماء يُطلق على حدوث اختلال في أخلاط الجسم أو على عدم تعادل تلك الأخلاط، وكانت مهمّة الطبيب تتمثل في إعادة ذلك التعادل، وبناءً على ذلك كان الأطباء يستخدمون لمختلف الأمراض دواءً مهماً يقوم بإخراج الأخلاط الإضافية أو الفضلات الموجودة في جسم المريض، وهو ما يسمى بـ" الأدوية المسهلة". تنحصر مهمّة تلك الأدوية في إزالة الأخلاط الإضافية الموجودة في جسم المريض عن طريق التقيؤ والإسهال، غير أن الأطباء المسلمين قد اهتموا كذلك بنتائج استخدام تلك الأدوية للتخلص من الأخلاط الإضافية سواء أكانت لزجة أم غليظة، وبكونها قد تغيّر مزاج المريض، ومن هنا، ونظراً لأهمية تلك الأدوية فقد قاموا بكتابة رسائل مستقلة فيها.ومنها "رسالة إصلاح الأدوية المسهلة" للمؤلف حبيش بن الأعسم الدمشقي.

استهدف هذا البحث إلى تبيين أهمية رسالة إصلاح الأدوية لحبيش بن حسن الأعسم بكافة جوانبها ومدى تأثيرها على الكتب الطبية الأخرى في العصر الإسلامي. لقد اعتمد الكاتب فيه على تجاربه الشخصية ومشاهداته الجادة مستعيناً من القوانين والنظريات الموجودة في كتب الإغريقيين القدماء،

والحقُّ أن هذه الكتابات والمؤلفات كانت قد بدأت منذ العصر الإسلامي عن طريق أعمال ابن ماسويه ثم حبيش بن الحسن بن الأعسم، ولكن يجب ألا نظنَّ أن هذه الظاهرة قد أحدثت ثورةً في العلم حينذاك على الرغم من أنها تقوم على أعمال جالينوس وأبقراط وديسقوريدوس. فضلاً عن هذا فإن كتاب حبيش بن الأعسم يتّسم بنظرته الدقيقة والمتمعّنة إلى موضوع الأعراض الجانبية للأدوية.

رغم أهمية هذه الرسالة علميّاً وتاريخيّاً ورغم التأثير البالغ الذي حققته في مجال علم الطب والصيدلة في العصور اللاحقة، إلا أنها لم تحظَ بأية دراسة مهمّة تتناولها أو تتناول جهود مؤلفها، وهذا ما أدّى إلى غياب مكانة الكاتب ورسالته في الأوساط العلمية والطبية. إن المنهج المتّبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي- الوصفي، كما قمنا بانتهاج المنهج الوثائقي بعد جمعنا البيانات والمعلومات الموجودة في المصادر والمراجع الرئيسية وبعد مراجعة البحوث والدراسات الحديثة.

حبيش بن حسن الأعسم الدمشقي في سطور

عاش حبيش بن حسن الأعسم في القرن الثالث الهجري في بغداد في عصر الخلافة العباسية وكان معاصراً للمتوكل ومَن خلفه،[1] ولكن لم تصلنا معلومات دقيقة عن تاريخ ولادته وموته، فكل ما وصلنا عنه لايعدو معرفتنا بأنه كان من المسيحيين النسطوريين الذين كان لهم دور فعّال في نهضة الترجمة وانتشارها، وبناءً على ذلك يمكن القول بأن حبيش بن الحسن كان من أبرز مترجمي الأعمال الطبية الإغرقية إلى اللغة العربية والسريانية،[2] كما وصلنا أنه كان ابن أخت حنين بن إسحاق.[4]

كان حبيش بن الحسن قد ترجم معظم أعمال أبقراط وجالينوس من السريانية إلى العربية، أو من اللغات الأخرى إلى السريانية، فقد ترجم أكثر من ٣٥ عملاً لجالينوس إلى العربية، بطلب من إخوة بني موسى.[5,6] شكّلت أعماله المترجمة، إلى جانب أعمال حنين بن إسحاق وإسحاق بن حنين، جزءاً كبيراً من الأعمال الطبية اليونانية – الإسلامية، مما كان له أكبر الأثر في علم الطب الأوروبي في أواخر القرون الوسطى.

يُستنتَج من أعماله أنه فضلاً عن قدرته الفائقة وبراعته الملحوظة في موضوع الترجمة والنقل، فقد كان له أثر بالغ في علاج المرضى وتطور الطب، حيث أشار في رسالته الشهيرة المعنونة بـ "رسالة إصلاح الأدوية المسهلة" إلى تجاربه الشخصية فيما يتعلق بعلاج المرضى بالأدوية المتنوعة، فضلاً عن أنّه ألّفَ أعمالاً في مجال الطب والصيدلة وذلك بناءً على تجربته في ترجمة الكتب الطبيّة وخاصة اليونانيّة منها كأعمال أبقراط وجالينوس[7] والكتب المختصة بعلم النباتات.[8]

حقّق له تمعنه في موضوع الترجمة ومؤهلاته العلمية والشخصية مكانةً مرموقة عند المترجم الكبير حنين بن إسحاق، حيث أثنى عليه الأستاذ نظراً لدقة ترجمته وصحّتها،[9] كما فوّض إليه الأستاذ أمرَ تنقيح أعماله التي قام بترجمتها بنفسه.[10] يقول حنين بن إسحاق في رسالته إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس: يتسم حبيش بن الحسن بقوة فهمه الرفيع، ويحاول في أعماله المترجمة أن يحذو حذوي في أعمالي.[11] أضاف حبيش بعض التعليقات على كتاب المسائل لحنين بن إسحاق وسماه الزيادة في المسائل لحنين بن إسحاق.[12]

أعمال حبيش بن الأعشم:

١: كتاب إصلاح الأدوية المسلهة

٢: كتاب الأدوية المفردة[13]

٣: كتاب الأغنية، وهو مخطوطة في حلب، (١/ ٤١، ش ٢٩٤)، نقلاً عن كتاب الحاوي للرازي، ٢١/ ٣٤٣.

٤: كتاب في الاستسقاء، حلب، ل، فارس، (١/ ٤٢، ش ٢٩٥).

٥: مقالة في النبض

٦: تعريف أمراض العين، أخذ عنه خليفة بن أبي المحاسن الحلبي في الكافي في الكحل[14]

٧: أقرابادين، وقد أخذ عنه الرازي في كتابه الحاوي.

١- قد أشار حنين إلى ذلك في كتابه، وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس، وكانت ترجمته في خلافة أمير المؤمنين المتوكّل ليحيى بن ماسويه (mohaqeq:56).

٢- وكان حبيش من الأطباء المتقدمين والمتميزين، وصاحب مؤلفات كثيرة في الطب، وكان مصيباً في المعالجات. تتمه صوان الحكمة، البيهقي، ظهير الدين، المجلد الأول، ص 2.

3- Ibn Nadim, 2009: 301.

4- Ibn Abi Usaibi'a, 1299: 302.

5- Mohaqeq, 1384: 84.

6- Ibid: 109-110.

٧- تعد مجموعة "جوامع الإسكندريين" المكوّنة من 16 مجلداً ضخماً من أهم وأشهر الأعمال الطبية المترجمة، والتي تتألف من 16 كتاباً عقب كتب جالينوس. اختيرت هذه المجموعة باقتراح من الأطباء الإسكندريين للتدريس والترجمة في مدارس الإسكندرية وترجمت كلها بهدف التعليم (ينظر: سزكين، المجلد 3، -150 140)، وتعود ترجمة تسعة مجلدات منها إلى حنين، وخمسة منها إلى حبيش فيما كان المجلد الأخير من ترجمة كل من الأستاذ والتلميذ سويةً (ابن النديم، 348).

8- Ibn Abi Usaibi'a, 1299: 203.

9- Ibn Nadim, 2009: 301.

١٠- ولحنين بن إسحاق كتاب المسائل وهو المدخل إلى صناعة الطب، لأنه قد جمع فيه جملاً وجوامع تعامل معاملة المبادئ والطلائع في هذا العلم وليس هذا الكتاب بأكمله لحنين بل إن تلميذه حبيش الأعسم هو من أكمله.(عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، المجلد الأول، ص 271).

11- Mohaqeq, 1384: 111.

12- Ibid.

13- Ibid.

14- Sezgin, 1967: 359.

الرسائل المستقلة في موضوع إصلاح الأدوية المسهلة

ألّفَ جالينوس كتاباً بعنوان " القول في قوى الأدوية المسهلة" يقول عنه حنين بن إسحاق: يتكوّن هذا الكتاب من مقال وضّح فيه الكاتب(جالينوس) أن آثار الأدوية المسهلة لاينحصر بأن تحسن هذه الأدوية أحوال الجسم ثم تخرج من الجسم تلقائياً بل إنّ كل دواء من تلك الأدوية يجذب ما يوافقه أو يشابهه من أخلاط. يتابع حنين بن إسحاق عن هذه المقالة قائلاً أيضاً: ترجم أيوب الرهاوي هذه المقالة إلى اللغة السريانية، وعندي منها مخطوطة يونانية، فقد ترجمتُها بنفسي إلى اللغة اليونانية، وترجمها عيسى بن يحيى إلى اللغة العربية.[15,16]

ألّف الأعسم أول رسالة مستقلة في إصلاح الأدوية واقتدى في ذلك بأبي زكريا يوحنا ابن ماسويه. كانت هذه الرسالة باللغة العربية وتناولت في موضوعها طريقة إزالة أضرار الأدوية المسهلة، وقد حازت على شهرة كبيرة خلال القرون الفائتة، كما كانت من الرسائل المعتمدة في علم الطب. أشار الرازي في كتابه الحاوي إلى آراء ابن ماسويه كثيراً، كقوله: ذكر ابن ماسويه في كتاب إصلاح الأدوية: إن الخربق الأسود يساعد على إخراج المرة السوداء من الجسم عبر البطن، والخربق الأبيض أقل قدرة وفاعلية مقارنةً بالأسود، فهو يساعد على إخراج المرة السوداء والبلغم عن طريق الإسهال، وكمية جرعة تناوله هي نفسها.[17] لم يبقَ أثر لهذا الكتاب سوى مخطوطة منه في مدينة جنوة الإيطالية.[18]

كما ألّف حنين بن إسحاق رسالة بعنوان: "المقالة الأولى من كتاب حنين فيما سهّل من الغذاء وتدبيره وشأن الدواء المسهل"، ويتناول الكتاب كيفية امتصاص تلك الأدوية المسهلة وفاعليتها وطرحها وإخراجها من الجسم. فقد ذكر في كتاب "إخبار العلماء بأخيار الحكماء" اسم كتاب حنين بن إسحاق قائلاً: "لم يسبقه أحد في مجال الأدوية المسهلة وتأثير الأغذية على الصحة ".[19] وتحتفظ مكتبة تبريز المركزية بمخطوطة من هذا الكتاب، غيرأن الصفحة الأولى منه تحتوي على الكثير من الأخطاء والإسقاطات، كما أن الخطّ فيها غير واضح، مما يعيق تصحيحها وطباعتها إن لم تتوفرمخطوطة أخرى.

أهمية رسالة إصلاح الأدوية لحبيش بن حسن الأعسم

يعدُّ كتاب إصلاح الأدوية لحبيش بن حسن الأعسم الدمشقي من أهم المصادر في هذا المجال، وقد اعتمد عليه الكتاب والأطباء في العصور التالية. يهدف حبيش من تأليف كتابه إلى إظهار أهيمة الأعراض الجانبية لبعض الأدوية بشكل منتظم وذلك بناءً على مصادر علمية موثوقة، ويقول: يجب القول بأن صناعة هذه الأدوية المسهلة يجب أن تكون بمقدار محدد وصحيح، وإلا سيؤدي ذلك إلى حدوث أضرار وأمراض، وبناءً على ذلك، لابد من التأليف في هذا المجال لتوضيح بعض الحقائق.[20]

كما تحدّث حبيش بن الأعسم في رسالته التي تحمل عنوان: رسالة إصلاح الأدوية المسهلة، عن أفضل وأهم محلول لصناعة الأدوية المسهلة، كما أطال الكاتب، بعد مقدمته، الحديثَ عن سمات المسهلات وماهيتها وكمية جرعتها وما يتعلق بها من أمور، فضلاً عن أنه أفاض في الحديث عن كيفية إزالة أعراضها وآثارها السلبية.

يشير حبيش بن الأعسم إلى أمر مهم في مقدمة الرسالة بعد كلامه عن أهمية إصلاح الأدوية المسهلة واعتبارها أحد أهم الفروع في الطب، قائلا: يجب على الطبيب إذا أراد أن يصف دواء لملك أو لأبنائه أو لغيرهم من كبار الشخصيات، ألا يعتمد على مُساعِدِهِ للقيام بهذه المهمة، بل عليه أن يتولى الأمر بنفسه منذ البداية وحتى النهاية وأن يختم على الوصفات والأدوية بخاتمه الخاص ثم يسقي الدواء بيديه للمرضى، وإذا اقتضت الحاجة بإرسال الأدوية مع رسول أو شخص ما إلى المريض، فيجب على الطبيب أن يختمها بخاتمه الخاص، لئلا يقوم الأعداء بالتآمر كما عليه ألا يرسل من لايُؤمَن جانبه لهذا الأمر، ويجب عليه أيضاً ألا يرسل الأدوية إلى عدة مرضى في آنٍ واحدٍ، لئلا يحصل خطأ وخلط بين الأدوية فيتناول المرضى ما لايناسب مرضهم، فتقع مسؤولية ذلك على عاتق الطبيب.

15- Sezgin, 1967: 154.
16- Mohaqeq, 1384: 44.
17- Razi: 421.
١٨-مخطوطة جنوة، انظر: Bolletino Ital. degli StudiOr، العهد الجديد، فلورانس 1876م، ص 410، وللمزيد من المعلومات، انظر: سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الثاللث، ص 305.
19- Qefti, 1903: 132.
20- Hubeish: 1.

تتلمذ حبيش بن حسن الأعسم على يد الأستاذ حنين بن إسحاق، فقد كان الأستاذ من كبار مترجمي التراث الإغريقي فيما يختصّ بعلم الطب، وقد ساعده تعلّمه على يد حنين بن إسحاق في أن يتعرف على الأعمال المعتمدة والمشهورة في التراث اليوناني، فمثلا يشير في كتابه المذكور إلى آراء أبقراط ثلاث مرات وإلى آراء جالينوس مرة واحدة. يقول حبيش في موضع من كتابه: لقد منع أبقراط شرب الأدوية المسهلة في أوقات معينة وأشار إلى ذلك في كتابه الشهير الفصول، قائلا: يُمنع شرب الدواء المسهل عند طلوع نجم الشعرى وفي الشتاء. وفضلاً على هذا فقد كان حبيش مطّلعاً على المصادر الهندية، واستفاد منها في عمله مما يدل على مكانة كتابه وأهميته، وبذلك يكون قد سبق ابن ربن الطبري في كتابه الذي يحمل عنوان فردوس الحكمة، غير أن الأول (حبيش) لم يشر إلى المصادر التي أفاد منها، خلافاً للثاني.

يقسم حبيش بن حسن الأعسم الأدوية المسهلة وفقاً لعملها إلى ستة أقسام:

القبض وهوجمع الأجزاء وانكماشها، وعقاقيره هي: الهليلج والبليلج وزيت الرمان والكمثرى والسفرجل.

الحرافة وعقاقيرها: السقمونيا، وزيت الحنظل، والصبر والشبرم والمازريون واللبان والعنزروت.

اللزوجة: اللبلاب، البزرقطونا، والمشمش والبنفسج.

الحلاوة: العسل، السكر، الترنجبين، القثاء، والعصارات التي تخرج من الأشجار كالطل وغيرها.

الملوحة: الملح، والبورق وماء البحر.

وقد يؤدي التناول المُفرط للسموم المسهلة إلى الموت.

يتسم كتاب حبيش بن الأعسم بنظرته الدقيقة والمتمعّنة في موضوع الأعراض الجانبية للأدوية ونظراً لأنه كان يعمل في الطب بنفسه فضلاً عن اطلاعه على المصادر الطبية ونجاحه في الترجمة، فقد كُتب له النجاح في تأليف هذا الكتاب، وبعد أن قسم الأدوية إلى ستة أقسام، أشار إلى ثمانية وأربعين دواء مسهلاً، مبيناً ميزاتها وطريقة استعمالها للأطفال والمسنّين وغير ذلك، كما تناول بشكل دقيق طريقة إزالة سمومها وأعراضها السلبية من الجسم، وقد أشار في ثنايا كتابه إلى تجاربه التي استخدمها في طبه، فمثلا يقول في موضع من كتابه: لقد رأيت أن أكثر سكان المناطق الجبلية الباردة، تغلب على طبعهم السوداء.... ولايفيدهم دواء السقمونيا.

مكانة رسالة إصلاح الأدوية بين مصادر صناعة الأدوية في العصر الإسلامي

لقد حظي كتاب إصلاح الأدوية لحبيش بن حسن الأعسم بمكانة كبيرة في العصر الإسلامي، حيث أشار العديد من الكتاب والأطباء إلى هذا الكتاب وإلى مؤلفه في أعمالهم، فقد كان من الكتب التي يقتدي بها الأطباء في مناهجهم؛ فمثلاً أحال الرازي في كتابه "الحاوي في الطب" إلى أربعة كتب من أعمال حبيش بن الأعسم (الرازي، ١/ ٤١، أقرابادين الكبير، ٨/ ٧٩، المعجون النافع للقولونج ذكره حبيش ٢١/ ٢٣١ في كتاب ينسب إليه، ٢١/ ٣٢٧، قال حبيش في كتاب الأغذية).

كما أشار أبوريحان البيروني في سبعة مواضع من كتابه "الصيدنة في الطب" إلى حبيش بن الأعسم، دون الإحالة إلى كتبه، وتحدث في أربعة مواضع منه عن المسهلات، مما يدل على أن البيروني قد استفاد من كتاب إصلاح الأدوية المسهلة، نظراً لكونه الكتاب الذي خُصص لبيان ميزات هذه الأدوية (البيروني: آذان الفأر: ١٩٦/ البيش:٣٥١/ المازريون:٩٠٧/ الحنظل:٤٦١/ اليتّوع:١٠٠٧).[21,22] كما ذُكر في كتاب " جامع مفردات الأدوية" لابن بيطار اسم حبيش بن الأعسم أكثر من ستٍّ وأربعين مرة عند ذكر الأدوية المختلفة (ج١:آذان الفأر ٢٤/ العشقة، أو اللبلاب الكبير٤٨/ الإفتيمون٥٥/ الإفسنتين٥٨/ الأملج ٧٥/ الأمذريان٧٦/ العنزروت٨٧/ الأرز ١٢١ و...)،[23,24] كما أحال محمد بن خير الإشبيلي في كتابه "عمدة الطبيب في معرفة النبات" إلى آراء حبيش بن الحسن في أحد عشر موضعاً (الأمذريان ج٥٩:١/ الهليلج الهندي ٧٧:١، البزرقطونا ٨٥:١/ البصل ١: ٩٦،٩٨/ البهار١: ١٠٨/ البيش١١١:١/ الجعدة: ١: ١٦٥،٢٩٧،١٤٤/ حب

21- Bironi, 1383: 461.
22- Ibid: 1007.
23- Ibn al-Baitar, 1922: 45.
24- Ibid: 146.

السّمنة ۱:۱۵۵/ حب الملوك ۱: ۳۶۰/ النبّالة ۱:۳۸۳/ القيصوم۲: ۵۲۵).[25] سنعرض في الجدول الآتي أسماء الأدوية التي ذُكرت في كتاب إصلاح الأدوية لحبيش بن حسن الأعسم، مع تأثير تلك الأدوية كما أوردها حبيش، وثم سنعرض في الأعمدة اللاحقة من الجدول أسماء كتب ومصادر الطب وعلم الأدوية التي ورد فيها ذكر هذه الأدوية؛ والأعداد الموجودة في العمود الأخير من الجدول تدل على نسبة هذه الأدوية المسهلة كما جاءت في كتاب هداية المتعلمين للأخويني البخاري:[26]

جدول رقم ۱: مقارنة بين تأثيرات الأدوية فى الكتب الصيدلانيه المختارة فى العصر الإسلامى

الرقم	اسم الأدوية فى كتاب إصلاح الأدويه لحبيش بن حسن الأعسم	الأثر الدوائى له كما ذكره حبيش	القانون فى الطب	الحاوى فى الطب	الحشائش لديستوريدوس[27]	الأبنية للهروى[28]	إصلاح الأدوية لقسطا ابن لوقا	هداية المتعلمين
۱	السقمونيا	إزالة المرة الصفراء وفضلات الجسم	*	*	*	*	*	۵۵
۲	الصبر	إزالة فضلات الجسم والبلغم	*	*	*	*	*	۷۶
۳	شحم الحنظل	إزالة البلغم الغليظ من المفاصل		*	*		*	۵۴
۴	الحنظل	إزالة المرة السوداء	*	*	*	*	*	
۵	التربد	مُسهّل للبلغم والمرة الصفراء	*	*		*	*	۴۸
۶	الشبرم	مسهل للماء الأصفر والبلغم الغليظ	*	*		*		
۷	مازريون	مسهل لمزاج الشخص	*	*		*		
۸	الدند	مسهل للمرة السوداء والبلغم				*	*	۱
۹	قثاء الحمار	مسهل للماء الأصفر	*	*	*	*		
۱۰	لبن اليتّوع	مسهل للبلغم والمرة الصفراء	*	*	*	*	*	
۱۱	الخربق الأسود	مسهل للسوداء	*	*	*	*		۱۵
۱۲	الخربق الأبيض	مسهل للبلغم			*		*	۳
۱۳	الهليلج	مسهل للمرة السوداء والمرة الصفراء	*	*			*	۹۶
۱۴	الغاريقون	مسهل للبلغم والمرة الصفراء	*	*				۲۹
۱۵	الجنطيانا	يقضى على السموم القاتلة						۷
۱۶	البسفايج	مسهل للمرة السوداء	*		*			۵
۱۷	بو زيدان	يفيد فى علاج آلام المفاصل						
۱۸	السورنجان	مسكّن موضعى للألم	*	*				۱۰
۱۹	الماهروج	يفيد فى علاج آلام المفاصل						
۲۰	الإفتيمون	مسهل للمرة السوداء	*	*	*			۴۸

25- Eshbili, 1995: 525.
26- Akhaveyni, 1344: 863-910.
27- Disqorides, 1952: 579-597.
28- Heravi, 1346: 359-405.

الرقم	اسم الأدوية فى كتاب إصلاح الأدوية لحبيش بن حسن الأعسم	الأثر الدوائى له كما ذكره حبيش	القانون فى الطب	الحاوى فى الطب	الحشائش لديسقوريدوس [27]	الأبنية للهروى [28]	إصلاح الأدوية لقسطا ابن لوقا	هداية المتعلمين
٢١	الإفسنتين	مسهل للمرة السوداء والبلغم	*	*	*		*	٣٧
٢٢	حب النيل	مسهل للبلغم الغليظ	*	*		*		
٢٣	شحم الرمان	يسهل رطوبة المعدة						
٢٤	السنا	مسهل للمرة السوداء والمرة الصفراء				*	*	١٠
٢٥	اللبلاب	مسهل للمرة الصفراء	*	*	*	*	*	١
٢٦	الشاهترج أو بقلة الملك	مسهل للمرة الصفراء		*				
٢٧	العود القاقلى	مسهل للماء الأصفر					*	٢
٢٨	عنب الثعلب	يزيل التهابات الكبد والطحال				*	*	
٢٩	الكرفس	مسهل للمرة السوداء والبلغم		*				١٨
٣٠	البقلة الحمقاء	تحفظ طبيعة الجسم ومزاجه						
٣١	السفرة الرطبة	يسبب التخدير والإمساك						
٣٢	البزرقطونا أو الإسفرزة	مسهل للبلغم اللزج فى المعدة						
٣٣	السلق	مسهل لطبع الشخص		*				
٣٤	الحندقوق	دواء للمعدة الباردة		*				
٣٥	الهليلج	مسهل للمزاج والطبيعة						
٣٦	زيت الرمان							
٣٧	الكمثرى	يزيل ما فى المعدة من مواد ضارة						
٣٨	السفرجل	يزيل ما فى المعدة من مواد ضارة	*					
٣٩	الإجاص	مسهل للمرة الصفراء	*	*	*			٢
٤٠	القثاء	مسهل لطيف لطبيعة الجسم	*	*			*	٤٣
٤١	الترنجبين	مسهل لطبيعة الجسم						
٤٢	العسل	مسهل للمرة الصفراء من المعدة						٤
٤٣	السكر	مزيل للأخلاط السوداء						١١٠
٤٤	العنزروت	مسهل للبلغم اللزج		*				١٩
٤٥	الملح	مزيل لرطوبة المعدة	*	*				٥٨
٤٦	ماء البحر			*				
٤٧	البورق	للأخلاط الغليظة اللزجة						
٤٨	الكمون الملكى	مزيل للبلغم الحارق والمرة السوداء						

29- Hobeish: 9.
30- Ibn Sina, 1389: 287.
31- Razi (Manuscript).
32- Qosta (Manuscript).
33- Ibn Sina, 1389: 287.
34- Elgood Cyril.
35- Elgood, 1371: 297.

يوضح الجدول المذكور أعلاه، أن هناك الكثير من النقاط المشتركة بين الكتب الستة المذكورة في علم الصيدلة والطب في العصر الإسلامي، ولم يكن هناك اختلاف بينها سوى في حالات نادرة.

يلعب كتاب إصلاح الأدوية لحبيش دوراً مهماً في معرفة الأدوية في العصر الإسلامي. إن محاولته في تبيين أضرار الأدوية وأعراضها الجانبية كانت إحدى القواعد الرئيسية في كتب الأدوية المفردة في تراث العصر الإسلامي، ولهذا يحاول حبيش في كتابه إيجادَ طرق لدفع هذه الأعراض. إن إرجاعات الباحثين العديدة إلى كتاب إصلاح الأدوية المسهلة لحبيش، تدلُّ على أهمية هذا الكتاب كمصدر رئيسي ومهم لمعرفة الأدوية في ذلك العصر.

تؤكد الإرجاعات الكثيرة لمحمد بن زكريا الرازي في كتابه الحاوي في الطب والبيروني في الصيدنة في الطب والحاج زين الدين العطار في القرون التالية في كتابه الاختيارات البديعية، على اتجاه علمي خاص لمعرفة الأدوية في التراث الإسلامي والذي ينطوي تحت عنوان إصلاح الأدوية المسهلة. وكما ذكرنا آنفاً، فإنه لا يوجد اختلاف كبير بين محتوى المصادر الرئيسية لإصلاح الأدوية وطرق استخدامها وبين ما ذكره حبيش في القرن الثالث وابن سينا في المجلد الثاني من كتاب القانون؛ فعلى سبيل المثال يذكر ابن سينا وحبيش في باب دواء الصبر أن له أنواعاً ثلاثاً وهي الأسقوطري، والعربي والسمنجاني[29,30] فى حين أنه لم يُذكر سوى نوعين له في بقية المصادر.[31,32] كذلك فقد استخدم ابن سينا وحبيش الجملة نفسها في تعريف دواء الشبرم وهي: « كان القدامى يستخدمونه مع الأدوية المسهلة ولكنه لم يعد مستخدماً فيها في الوقت الراهن بسبب أضراره».[33]

في الحقيقة يمكننا القول بأنَّ الطرق التي اتخذها حبيش هي الاستفادة من تجربته الشخصية ومطالعته وإلمامه بالمصادر اليونانية ولاسيما أعمال جالينوس وأبقراط وديستقوريدوس، وقد أصبحت أعماله معلماً هادياً للذين جاؤوا من بعده حتى أواخر القرون الوسطى. يرجع حبيش في باب دواء شحم الحنظل إلى أبقراط وكتابه الفصول ويؤكِّد على أنَّه يجب عدم تناول هذا الدواء في فصل الخريف ويذكر في السطور التالية تجربته الشخصية في وصف هذا الدواء قائلاً:«اعلم أنّي رأيت أن سكان المناطق الباردة جميعاً يغلب على طباعهم المرَّة السوداء فلا تؤثر فيهم من الأدوية إلا أحدُّها وأقواها مثل الشحمة والورقة الخاصة وورق الحنظل والشبرم والمازريون والدند الصيني ونظائر هذه الأدوية»

يَعتبر سيريل ألغود[34] مؤلفات حبيش ذات أهمية بالغة ويقول: نرى في كتاب حبيش أنه يوصي ببعض الأدوية ويصفها للمرضى دون أن يكون أحد قى سبقه في ذلك وهذا يدُلُّ على أنَّ مطالعاته لم تقتصر على المصادر اليونانية فحسب لأنَّ بعض الأدوية المذكورة في كتابه كانت غير معروفة لديهم».[35]

يذكر حبيش في مقدمة كتابه الهدف الرئيس من تأليفه له ويقول: « يجب على الطبيب أو المداوي إذا ما أراد أن يتّخذ دواءً مسهلاً لملك من الملوك أو شريف أو شخص من عامّة الناس أو وضيع ألا يتّكل في ذلك على المساعِد أو الخادم بل عليه أن يتولّى عمله بنفسه وأن يحضّره منذ بدايته وحتى نهايته ثم يختمَ عليه بختمه الخاص ويناوله للمريض بيده وإن كان هنالك ما يستدعي أن يرسل الدواء مع رسول فعليه أن يرسله مختوماً لئلا يُخدَع من أعدائه فيكون عرضةً لمكر ومؤامرة الأشخاص الذين ليسوا أهلاً للثقة كما عليه ألايرسله مع رسول غير كفءٍ أو مع من يُخشى مكره، وعليه أيضاً ألا يرسل أكثر من دواء أو عقار في آنٍ واحدٍ لئلا يحدث خطأ وخلطٌ بين الأدوية فيتناول المريض ما لاينبغي له تناوله ويرجع وبال ذلك على الطبيب ويلزمه عاره»، ولانرى هذا الأمر المهم في كتابي إصلاح الأدوية للرازي ولقسطا بن لوقا.

فيما يتعلق بموضوع الإصلاح لبعض الأدوية المسهلة، قام حبيش بذكر طريقة إزالة أعراضها الجانبية بالتفصيل الدقيق؛ على سبيل المثال ذكر الصيادلة في باب دواء الصبر أنواعَ الصبر وطريقة إصلاحه وحسب، ولكن إذا أردنا الحصول على التفصيل الدقيق لإصلاح هذا الدواء فإنه يجب علينا

أن نعود إلى كتاب حبيش، و هو بعد ذكره أنواع هذا الدواء والإشارة إلى جودة نوعه الأصفر يؤكِّد على ضرورة عدم استخدامه في الفصول الباردة بسبب الضرر الذى يسببه للمقعد في هذه الفصول.

النتيجة

لاشك في أن مصادر الصيدلة اليونانية بدءاً من كتب جالينوس وانتهاءً بكتب أبقراط وديسقوريدوس، لعبت دوراً مؤثراً في تأسيس صناعة الأدوية في العصر الإسلامي. ومن جهة أخرى فإن كتاب حبيش بن الحسن بن الأعسم (إصلاح الأدوية المسهلة) يُعتبر من أهم كتب علم الصيدلة وأبرزها في عصره وفيما تلاه من عصور. إن حبيش في الحقيقة، بفضل ما أفاده من بيانات ومعلومات المصادر السابقة إضافة إلى ما كسبه من علم استنتجه من تجاربه الشخصية، قد تمكّن من تأليف كتابٍ يمكن تصنيفُه من بين كتب الدرجة الأولى في علم الطب والأدوية من حيث الشمولية والدقة، والذي أصبح من أهم المصادر المستخدَمة في العصور اللاحقة، والسبب في هذا أن العلماء المسلمين والأطباء كانوا قد عنوا عناية بالغة بطريقة إزالة الأعراض الجانبية للأدوية وخير من يمثل ذلك حبيش بن الأعسم، حيث كان ذا خبرة واسعة ومعرفة عميقة فيما يتعلق بالأدوية المسهلة وطريقة إزالة أعراضها الجانبية وذلك لكونه طبيباً حاذقاً فضلاً عن أنه كان من كبار مترجمي الأعمال الإغريقية في عصره. والنقطة الأخيرة التي تجدر الإشارة إليها هي أنه يجب التعريف على الكتب المغمورة وغير المعروفة في مجال الطب والصيدلة في التراث الإسلامي، بهدف شرحها وإيضاحها والوقوف على مدى تطور الطب وعلم الصيدلة في ذلك العصر وما تلاه من عصور.

References

Akhaveyni AIA. [*Hidaya al Motaelemin Fi Tib*] , tahqiq: Jalal Matini, Mashhad. 1344. [In Persian].

Bironi AMIA. [*Seidane fi Tib*], trans: Baqer Mozafar zadeh, Farhangestan Adab Farsi, Nashr Asar, Teharn. 1383. [In Persian].

Disqorides P. [*Al Hashaesh Haiola fi Tib*], Stefan Ibn Basil, Dobler, Tatvan, 1952. [In Arabic].

Eshbili MIK. [*Omdato Al Tabib fi Marifate Al nabat*], tahqiq: Khetabi Mohammad Arabi, Dar al Gharb Islami. Beyrot, lebonan, 1995. [In Arabic].

Sezgin S. *Geschichte des arabischen Schrifttums*, Leiden, 1967.

Heravi AM. [*Al Abniya an haqaqye alAdviya*], Tahqiq: Ahmad Bahmanyar, Hosein Mahbobi, Tehran university. 1346. [In Persian].

Hubeish IA. [*Islah Al Advaia Mos,hila va dafe Mazareha*], manuscript, majlis library, number: 360.55. [In Arabic].

Ibn Abi Usaibi'a AbQ. [*Uion alAnba fi Tabaqat al Atiba*], Makatbo al Wahabia. 1299. [In Arabic].

Ibn al-Baitar AIA. [*Al Jame L Mofardat al Adviya va al Aghziya*], dar al Kotob, elmiya, ,Manshorat mohammad Ali Beyzon, Beyrot, lebonan, 1922. [In Arabic].

Ibn Nadim MIAYI. [*al Fihrist*], Imin Foad Seyyed, Moasesse Al Forqan lelToras, London, 2009. [In Arabic].

Ibn Sina. [*Qanon fi al Tib, Sharaf kandi*], Sorosh, Tehran. 1389, V**1-8**. [In Persian].

Mohaqeq M. [*Risalat ila Ali ibn yahya treatise for Ali ibn yahya on works of Galen translated into Arabic*], anjomane asar va mafakher, Teran. 1384. [In Persian].

Qefti AIY. [*Tarikh alhokama va Mokhtasar Al Zozani alMosama be montakhabat min akhbar aOlama be akhbare al hokama*],Yoliyos Li-

pert, Leipzig, 1903. [In Arabic].

Qosta IL. *Islah Al Advaia Mos,hila va dafe Mazareha*, manuscript, ayasofya, number: 3724.

Razi MIZ. *Al Hawi fi tib*, MOhaqeq: Heisam khalifa Taeimi,, Dar al Ihya, Beyrot, 1422.

Elgood C. *A medical History of Persia and the eastern caliphate*, trans: Baher Forqani, amir kabir press, 1371.